

أثر الاكتئاب النفسي

على الأحكام الفقهية المتعلقة بالأحوال الشخصية

د . أسامة محمد زغلول متولي مرسي (*)

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق نبي الحق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ثم أما بعد،،،

فإن ديننا الحنيف وأحكامه الغراء لم يترك شاردة ولا واردة إلا وبين لنا كيفية التعامل معها وحكمها، بل إن ما قد يصيب الإنسان من اضطرابات أو أمراض نفسية تصيبه أو تطراً عليه قد تخل برشده يترتب عليها أحكاماً فقهية في شتى مناحي حياته.

كما أن الأحداث التي تصيبنا تترجمها صحتنا النفسية إما بالقبول أو الرفض ، في كثرة المواقف التي يمر بها الإنسان فتعطيه حصانة نفسية إذا تعامل معها بالقبول وحسن التصرف ولو كان مثلاً فقد عزيز، فيكون عن طريق الاستسلام لقضاء الله وقدره وتحويل ردة الفعل إلى دعاء أو صلاة أو الاستزادة من العلم، أي تحويل ردة الفعل إلى حركة من حركات الرضا ولو شعر الإنسان بغير ذلك.

والصحة النفسية هي الحياة التي تتضمن الرفاهية والاستقلال والجدارة والكفاءة الذاتية بين الأجيال وإمكانات الفرد الفكرية والعاطفية وفقاً لما قالته منظمة الصحة العالمية، كما أنها قدرة الإنسان على الشعور بالسعادة وإيمانه بقيمته، وقدرته على

(*) دكتوراه في الشريعة الإسلامية، قسم الشريعة الإسلامية ، كلية دار العلوم جامعة المنيا.

أثر الاكتئاب النفسي

إحداث التوافق والتناغم بين قدراته وطموحاته ومثله وعواطفه وقدرته أيضاً على متابعة حياته بشكل طبيعي بعد التعرض لأي صدمة أو ضغط نفسي، تعد مطلباً ضرورياً للعيش بعيداً عن الاضطرابات العقلية والسلوكية.

وإن زيادة التعقيدات والضغوط النفسية والاجتماعية على الأفراد، وكذلك التحولات الحضارية السريعة، وتغير أنماط الحياة، وضعف العلاقات الأسرية، إضافة الى قلة الوازع الديني، قد أدت إلى تفاقم المشكلات الاجتماعية والنفسية، التي ربما أدت بدورها إلى ظهور اضطرابات الشخصية، وتبني سلوكيات منحرفة (أسماء الحسين، ٢٠٠٢، ٣٢٥).

فكثيراً ما تواجه هذه النفس من عقبات قد تسبب لها اضطرابات تعيق سلامتها النفسية فنتج بعض التصرفات التي قد تكون غير طبيعية، فالاضطراب النفسي يعني: المظهر الخارجي لحالات التوتر والصراع النفسي الداخلي التي تؤدي إلى اختلال جزئي في الشخصية يظل معه المضطرب متصلاً بالحياة الواقعية ولهذا المظهر الخارجي جملة من الأعراض التي قد تظهر كلها أو جزء منها مثل القلق، الخوف، الاكتئاب النفسي، الوسواس، الأفعال القهرية، سهولة الاستثارة، الحساسية الزائدة، اضطرابات النوم، الشكوى الزائدة، عدم القدرة على استبصار الذات أو تحديد الأهداف أو اتخاذ القرار أو الفشل في التوافق (محمد عبد الأمير، ٢٠٢٢، ٣٣٣)، كما هو الشذوذ عما هو سوي أو الانحراف عما هو عادي، وقد تكون حالات مرضية تشكل خطراً على الفرد نفسه، أو على المجتمع تتطلب التدخل لحماية الفرد أو حماية المجتمع منه، والشخص المضطرب نفسياً هو الذي ينحرف سلوكه عن سلوك الشخص العادي في التفكير والمشاعر، ويكون غير قادر على الاندماج مع الآخرين (فوقية عبد الفتاح، ٢٠٠٥، ٤٠).

د . أسامة محمد زغلول متولي مرسي

أسباب اختيار الموضوع:

لعل من أهم الأسباب الرئيسية ما نراه في واقعنا المعيش أن معظم من نتعامل معهم حين تسأله عن حاله أو ظروفه نشعر في كلامهم بنبرة اكتئاب أو ضيق مما أثار لدي شغف البحث عن الأحكام الفقهية المتعلقة بمرض الاكتئاب النفسي.

الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث سوى رسالة ماجستير بجامعة أم درمان بالسودان للباحث/ أنس ابن عوف عباس ، والمشرف د/ نزار أحمد عبد الله النويري ، كانت بعنوان: "الأحكام الفقهية للأمراض النفسية وطرق علاجها : دراسة مقارنة" ولم يتعرض فيها الباحث لمرض الاكتئاب النفسي كما ورد بالدراسة.

كما هناك بعد الدراسات التي تكلمت عن علاجات الأمراض النفسية التي ليست محل دراستنا.

منهج الدراسة:

لقد اتبعت في دراستي المنهج الاستقرائي التحليلي المقارن للوقوف على ما يتعلق بجوانب الدراسة.

خطة الدراسة:

تتكون خطة الدراسة من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة كالتالي:

المقدمة: وتتضمن ما تتضمنه المقدمات من أسباب اختيار الموضوع والدراسات السابقة ومنهج الدراسة والخطة المتبعة في الدراسة.

التمهيد: مفهوم الاكتئاب النفسي، تصنيفه ودرجاته وأعراضه.

أثر الاكتئاب النفسي

المبحث الأول: أثر الاكتئاب النفسي على الأهلية والولاية.

المبحث الثاني: أثر الاكتئاب النفسي على النفقة الزوجية ونفقة الأقارب.

المبحث الثالث: أثر الاكتئاب النفسي على النسب.

المبحث الرابع: أثر الاكتئاب النفسي على الكفاءة.

الخاتمة: وتتضمن أم النتائج التي توصلت إليه الدراسة.

تمهيد

مفهوم الاكتئاب النفسي: تصنيفه ودرجاته وأعراضه

ويتضمن تعريف الاضطرابات النفسية مجملاً، ومن ثم يندرج من بينهم الاكتئاب النفسي وهو أحد هذه الاضطرابات، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الاكتئاب النفسي، وفيه فرعان :

الفرع الأول: تعريف الاكتئاب النفسي لغة.

الفرع الثاني: تعريف الاكتئاب النفسي اصطلاحاً.

الفرع الأول: تعريف الاكتئاب النفسي لغة :

"الكآبة: سوء الحال، والانكسار من الحزن.

كَنِبَ يَكُأِبُ كَأَبًا وكَأَبَةً وكَأَبَةً، كَنَشَأَةٌ ونَشَاءَةٌ، ورَأْفَةٌ ورَأْفَةٌ، واكْتَأَبَ اكْتِنَابًا:

حَزَنَ وَاغْتَمَّ وانكسر، فهو كَنِبٌ وكَنِيبٌ. وفي الحديث: أَعُوذُ بِكَ مِنْ كَأَبَةِ الْمُتَقَلِّبِ.

الكآبة: تَغْيِيرُ النَّفْسِ بِالْانْكَسَارِ، مِنْ شِدَّةِ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ، وَهُوَ كَنِيبٌ وَمُكْتَنِبٌ.

المعنى: أنه يرجع من سفره بأمر يَحْزُنُهُ، إما أصابه من سفره وإما قَدِمَ عليه

مثلُ أَنْ يَعُودَ غَيْرَ مَقْضِيٍّ الْحَاجَةَ، أَوْ أَصَابَتْ مَالَهُ آفَةٌ، أَوْ يَقْدَمَ عَلَى أَهْلِهِ

فِيحْدَهُمْ مَرَضَى، أَوْ فُقِدَ بَعْضُهُمْ.^(١)

الفرع الثاني: تعريف الاكتئاب النفسي اصطلاحاً.

الاكتئاب النفسي هو مصطلح يستخدم لوصف خليط من الحالات المرضية أو

غير المرضية التي يتغلب عليها طابع الحزن وهناك أنواع متعددة من الاكتئاب

النفسي قسمت حسب طول مدة الحزن، وإذا ما كان الحزن قد أثر على الحياة

(١) لسان العرب.

أثر الاكتئاب النفسي

الاجتماعية والمهنية للفرد، وإذا ما كان الحزن مصحوباً بنوبات من الابتهاج فضلاً عن نوبات الكآبة في حياتهم على أقل تقدير (لطفي الشربيني، ٢٠٠١، ٣٠).
ويعتبر الاكتئاب النفسي مشكلة من المشكلات النفسية التي يمكن أن تعيق الفرد عن أداء دوره الاجتماعي وعن توافقه وارتقائه، والاكتئاب النفسي الأساسي هو اضطراب له جوانب انفعالية ومعرفية وبدنية، وبداية الاضطراب البدني يتمثل في اضطراب الشهية للطعام، واضطراب النوم والعجز الجنسي، واضطراب الجهاز العصبي المستقل والإنهاك وكثرة البكاء وتناقص الطاقة، ويمكن أن يتمثل الاضطراب الانفعالي في الاكتئاب النفسي في العجز عن الحب وكراهية الذات التي قد تصل إلى التفكير في الانتحار أو الإقدام الفعلي عليه، أما الاضطراب المعرفي فيتمثل في تشويه الأفكار والمدرجات المعرفية، بحيث تدور أفكار المريض حول انخفاض تقدير الذات وتوقع الفشل وخيبة الأمل في الحياة، وذلك بالإضافة إلى الضعف في التركيز الذهني واضطراب الذاكرة (بدر محمد الأنصاري، ١٩٩٧).

والحزن من أبسط صور الاكتئاب النفسي الذي يعرض للإنسان أثناء تفاعله مع مثيرات الحياة في مواقف الفشل والإحباط والمرض (عزت إسماعيل، ٣٢، ١٩٩٩). وقد تطرق القرآن الكريم إلى معاناة نبي الله يعقوب عليه السلام عندما أصيب بالحزن لفقد ابنه يوسف - عليه السلام - فقد قال الله تعالى: (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِيبَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٍ) (سورة يوسف آية ٨٤). وشرح ما قد يصيبه من أعراض الحزن فقال تعالى: (قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ) (سورة يوسف آية ٨٥).

وتعني كلمة حرضا أي مريضاً مشرفاً على الموت، كما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في دعاء الكرب: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك

د . أسامة محمد زغلول متولي مرسي

من العجز والكسل) (السيوطي، الجامع الصغير: ٩٢). ومما يميز الحزن عن الاكتئاب النفسي أن الحزن استجابة انفعالية تتفق مع درجة الفقد أو الضرر الذي يلحق بالفرد يمكن تعديله باستخدام المنطق أو بفعل ملائم عن طريق التفريغ الانفعالي، ويمكن أن يتحول من عانى منه من هذه الحالة، وأن يتعلم من واقع تلك الخبرة كيفية التفاعل مع المواقف المماثلة بشكل أسرع، وأن يحقق قدرًا من التكيف (بشير معمرية، ٢٠١٠، ٩٢).

أما الاكتئاب النفسي فإنه يعني الانخفاض في المعنويات والجهد والشعور بالضيق وفقدان الأمل وعدم الجدوى واستجابة انفعالية متطرفة وغير مناسبة للحدث المثير، يختلف عن الحزن من حيث الشدة ومدة استمرارية الاستجابة، والمكتئب لا يمكنه استشعار المشاعر المبهجة عكس الذي يعاني من حالة الحزن السوي، ويميل المريض بالاكتئاب النفسي لاجترار الأفكار والخبرات غير السارة في حياته وهو بحاجة إلى العلاج النفسي (آمال علي، ٢٠١٥، ٤٣٣).

ويرى كارلن (Karolin) أن الاكتئاب النفسي مرض وراثي يتحول من الاكتئاب النفسي إلى الماينخوليا، ويعتقد بيرنج (Bebring) أنه ينشأ من التوتر بين طموح الفرد النرجسي ووعي الأنا بعجزها، ويرى روبنفاين (Rubinfine) أنه يحدث من تمزق الوحدة النفسية بين الأم وطفلها فينتج عن ذلك عجز وتحرر من الوهم النرجسي يترتب عليه أن يأخذ العدوان مكانه، فيتطور الاستعداد للإصابة بالاكتئاب النفسي، أما ليتشريبج (licerberh) فبين أنه مظهر للشعور بالعجز حيال تحقيق الأهداف عندما تكون تبعية اليأس منسوبة إلى علة شخصية، وفي هذا السياق فإن الأمل يكون مفهوما كوظيفة لإدراك مدى احتمال حدوث النجاح في صلتته بتحقيق الهدف (إبراهيم عبد اللطيف، ١٩٩٧، ٦٦).

أثر الاكتئاب النفسي

وحده كامبل (Campell) بأنه حالة إكلينيكية تشمل انخفاضاً في الإيقاع المزاجي ومشاعر الامتعاض المؤلمة وصعوبة التفكير مع وجود تأخر حركي نفسي وربما يختفي التأخر الحركي النفسي للفرد، ويكون شعور الإثم مصحوباً بنقص ملحوظ في الإحساس بالقيمة الذاتية وفي النشاط النفسي والحركي والنشاط العضوي من غير أن توجد مشكلات عضوية حقيقية وراء هذا النقص (عبد الحميد الشاذلي، ٢٠٠١، ٦٥).

ويعرف بيك الاكتئاب النفسي بأنه اضطراب التوافق المصحوب بالمزاج المكتئب الذي يتسم بالبكاء واليأس والقنوط، ويعرفه كذلك بأنه استجابة لا تكيفية مبالغ فيها وتتم بوصفها نتيجة منطقية لمجموع التصورات والإدراكات السلبية للذات أو للموقف الخارجي أو للمستقبل أو للعناصر الثلاث مجتمعة (Beck, Rush, Shaw & Emery, ١٩٧٩, ٣٤).

ويعبر الاكتئاب النفسي عن مجموعة من الأعراض المركبة التي يطلق عليها العلماء مفهوم الزملة الاكتئاب النفسية depressive syndrome . فمن المعروف أن أعراض الاكتئاب النفسي قد تختلف من فرد إلى آخر، فالبعض قد يتخذ لديهم الاكتئاب النفسي شكل أحاسيس قاسية من اللوم وتأنيب النفس. ويجيء عند البعض الآخر مختلطاً مع شكاوى جسمانية وأمراض بدنية بصورة قد لا نعرف الحدود بينهما. ويعبر البعض الآخر عنه في شكل مشاعر باليأس والتشاؤم والملل السريع من الحياة والناس^(١).

(١) الاكتئاب النفسي اضطراب العصر الحديث فهمه وأساليب علاجه، ص ١٦.

د . أسامة محمد زغول متولي مرسى

المطلب الثاني : تصنيف مرض الاكتئاب النفسي :

وللاكتئاب أنواع وتصنيفات عديدة تبعاً للدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية: الإصدار الخامس DSM-V يصنف الاكتئاب النفسي ضمن اضطرابات المزاج كما أن تشخيص نوبة الاكتئاب النفسي الأساسي يشترط فيها الآتي (APA, ٢٠١٣, ٩٤-٩٥).

١- ظهور خمسة أو أكثر من الأعراض التالية الذكر بشكل مستمر لمدة لا تقل عن أسبوعين متواصلين، وأن يكون أحد تلك الأعراض على الأقل هبوط المزاج، أو فقدان المتعة، وتتمثل أعراض نوبة الاكتئاب النفسي الأساسي في التالي:

أ- هبوط المزاج باستمرار، طوال اليوم تقريباً وبشكل يومي، حيث يذكر المريض عبارات من مثل (أشعر بالحزن، وفقدان الأمل)، أو أن يلاحظ عليه الآخرون مظاهر البكاء.

ب- فقدان الاهتمام تقريباً بجميع الأنشطة وفقدان القدرة على الاستمتاع بما يقوم به الفرد من أنشطة، وذلك من خلال ما يقوله الفرد عن نفسه أو ما يذكره عنه الآخرون من حوله.

ج- نقصان ملحوظ في الوزن دون اتباع حمية، أو زيادة ملحوظة في الوزن.

د- الأرق أو الإفراط في النوم بشكل يومي تقريباً.

هـ- خلل في النشاط الحسي الحركي حيث يصبح الفرد بطيء الحركة إضافة على عدم القدرة أو الرغبة في القيام بأي نشاط بشكل يومي ويلاحظ الفرد نفسه أو يلاحظه المحيطون به.

و- الشعور بالتعب الشديد وفقدان الطاقة بشكل يومي.

أثر الاكتئاب النفسي

ز- الإحساس بالدونية وانعدام القيمة، مع الإحساس الشديد غير المحدد وغير المبرر بالذنب.

ح- تدهور القدرة على التفكير أو التركيز وعدم القدرة على حسم القرارات.

ط- أفكار متكررة تتعلق بالموت (ليس فقط الخوف من الموت) وأفكار متكررة تتعلق بالانتحار كمثل: (التفكير في الانتحار بدون وجود خطة، أو محاولة الانتحار، أو وجود خطة محددة لتنفيذ الانتحار).

٢- أن تسبب الأعراض ضيقاً إكلينيكياً ملحوظاً أو خلافاً في المجال الاجتماعي أو المهني أو غيرها من مجالات الأداء المهمة.

٣- ألا تتسبب نوبة الاكتئاب النفسي إلى الآثار النفسية الناتجة عن تناول مادة دوائية أو إلى حالة طبية أخرى.

أما الأنواع الأخرى للاكتئاب فهي :

- اضطراب المزاج المتقلب المشوش .
- اضطراب اكتئابي مستمر -سوء المزاج.
- اضطراب سوء المزاج ما قبل الطمث.
- الاضطراب الاكتئاب النفسي المحدث بمادة/دواء.
- اضطراب اكتئابي بسبب حالة طبية أخرى.
- اضطراب اكتئابي محدد آخر.
- اضطراب اكتئابي غير محدد.

المطلب الثالث : درجات الاكتئاب النفسي :

يتم قياس درجة الاكتئاب النفسي وفق معايير طبية وجداول يتم فيها إدخال الأعراض وعدد الأيام التي يشعر فيها الشخص بتلك الأعراض من الأسبوع ، ووفق تلك المعطيات يتم تحديد درجة الاكتئاب النفسي، وهي تصنف كالتالي :

د . أسامة محمد زغلول متولي مرسي

خفيف ، متوسط ، شديد ، مع مظاهر ذهانية ، في هدأة جزئية، في هدأة كاملة ، غير محدد.

مثال: يتم حساب عدد الأيام التي يشعر بها الشخص بالحزن الشديد ، أو قلة النوم ، أو الإفراط بالنوم أو الإفراط أو التفريط بالأكل ، ومعايير أخرى ، وبناء على عدد الأيام يعطى كل مدخل درجة معينة، وتجمع تلك الدرجات بالنهاية ليتم قياس درجة الاكتئاب النفسي. وهذا المقياس يستخدم عالمياً وهو مترجم إلى اللغة العربية ويستخدم في العيادات النفسية. (١)

المطلب الرابع: النظريات المفسرة للاكتئاب:

حاول العديد من العلماء تفسير الاكتئاب النفسي كل من وجهة نظره الخاصة، وتعكس مجمل تفسيراتهم وحدة وتكامل جوانب حياة الإنسان وارتباط النواحي الجسمية لديه بالنواحي النفسية والعقلية والاجتماعية، كما أنها تعكس تفاصيل لكيفية التداخل والتفاعل بين تلك النواحي في شخصية الانسان والعوامل المؤثرة فيها، وفيما يلي استعراض لبعض وجهات النظر للمدارس النفسية للاكتئاب وتفسيرات كل مدرسة بالنسبة للاكتئاب:

أولاً: مدرسة التحليل النفسي:

آراء سيجموند فرويد:

يرى فرويد أن العصاب ينشأ نتيجة لصدمة نفسية خلال السنوات الأولى من حياة الإنسان وهو أساس الصراع الأوديبي بين الطفل وأحد الوالدين من الجنس الآخر ويعبر عن الصراع الشديد بين مكونات الشخصية الـ هو، والأنا الأعلى(أحمد عكاشة، ٢٠٠٩، ١٠٧).

(١) patient health questionnaire ٩ in Arabic.

أثر الاكتئاب النفسي

وافترض أن الاكتئاب النفسي يشبه الحزن ويختلف عن السوداوية في مسألة اتهام الذات، حيث ينقلب العدوان في الحالات التي تقدم على الانتحار إلى الذات، وقد أرجع النكوص في السوداوية إلى المرحلة القيمة (عبد الله عسكر، ١٩٨٨، ٤٨).

وأشار إلى مظاهر الاكتئاب النفسي مثل فقدان الاهتمام بالعالم والتناقض في القدرة على الحب والميل لإيلاام الذات، مع توقعات هذائبة بالعقاب وبعدها مظاهر أساسية في حالات الحزن والسوداوية لا شعوريا، عكس حالة الحزن التي يكون الفقد فيها على مستوى شعوري؛ لذا ينبغي جعل الحزن شعوريا باستعادة الخبرات المصاحبة للموضوع الفاقد إلى الذات (عزت إسماعيل، ١٩٩٩، ٢٠٥).

آراء ألفرد أدلر: Adler:

يرى ادلر أن القوة الدافعية في الإنسان هي الرغبة في القوة، وهي نوع من التعويض عن مشاعر النقص التي تبدأ من الطفولة عندما يرى الطفل أنه أضعف من الكبار المحيطين به جسميا وعقليا، ويدفع به هذا الشعور إلى الكفاح من أجل التفوق والسمو، وما العصاب إلا محاولة لتحرير النفس من الشعور بالنقص، وقد أشار أدلر إلى بعض المواقف الأسرية كتدليل أو إهمال الطفل وتربيته بين إخوته، وأسلوب الحياة الذي يضعه الفرد هدفاً مبكراً في حياته بحيث تصبح بقية جوانب الحياة الأخرى ثانوية بالنسبة له، ويعتقد أنه من الممكن أن يؤدي أسلوب الحياة إلى ظهور المواهب والسلوك الإيجابي المفيد اجتماعيا (أحمد عكاشة، ٢٠٠٩، ١٠٨).

النظرية المعرفية:

يفترض هذا المنظور وجود نموذجين معرفيين من الاكتئاب النفسي:

د . أسامة محمد زغلول متولي مرسي

النموذج الأول: أسسه بيك ورفاقه Beck & other ، ويرى أن أسباب الاكتئاب النفسي أفكار سالبة عن الذات وعن الخبرات الراهنة، وعن المستقبل؛ حيث يؤدي الإدراك السلبي لدى الفرد وتقييمه للموقف إلى حالة الاكتئاب النفسي وغالبا ما تكون الأفكار السالبة التشاؤمية غير واقعية ومحرفة وغير منطقية، ويتحرك الحزن عن طريق تفسير خبرات الفرد ضمن حدود الحرمان والنقص والانهازم، ويرتبط الوجدان في الاكتئاب النفسي مع العنصر المعرفي.

النموذج الثاني: أسسه سليجمان Seligman ، ويسمى نموذج العجز المتعلم وقلة الحيلة، ويرى هذا النموذج أن التعرض لأحداث خارج عن نطاق السيطرة وإدراكها في هذا الإطار يؤدي إلى توقعات عن فقدان السيطرة على الأحداث التالية في المستقبل، وتؤدي هذه التوقعات إلى حالة من القصور تتمثل في العجز وقلة الحيلة ويدرك المرء نفسه عاجزا لا يمكنه السيطرة على المواقف والأحداث (آمال علي قاسمي، ٢٠١٥، ١١٩).

وأشار مليجز ويولبي (Melges&Bowlby, ١٩٩٦, ٦٩٠) إلى أن الشعور باليأس هو المحور الأساسي في الإصابة بالاكتئاب النفسي، ويعود الإحساس بالأمل واليأس إلى تقدير الفرد لقدراته على إنجاز أهداف معينة، وعلى الرغم من أن اعتقاد المكتئب أنه غير قادر على تحقيق أهدافه، فإن هذه الأهداف تبقى مهمة بالنسبة له؛ لذا فإنه يظل مستغرقا في مثل الأهداف التي يستطيع إنجازها.

المنظور الفسيولوجي:

تؤكد النظرية العضوية الطبية أن الأمراض النفسية العصابية والعقلية هي نتاج لإصابات دماغية وأمراض عضوية؛ حيث يهتم المنشغلون في الطب النفسي بالجوانب المرضية المرتبطة بالاكتئاب النفسي من الناحية الفسيولوجية على أساس أن الاكتئاب النفسي اضطراب وظيفي ناتج لاضطراب في التنظيم

أثر الاكتئاب النفسي

الهرموني أو الكيميائي لدى الفرد مع إسهام العوامل الوجدانية والبيئية، وإذا تعين الخلل وعولج انتظمت الصحة النفسية، ويهتم أصحاب هذا الاتجاه باستخدام الأدوية والصدمات الكهربائية، وقد يلزم التدخل الجراحي أحيانا والمهم فقط كيفية إزالة الأعراض بأي وسيلة بغض النظر عن دينامية الاكتئاب النفسي والصراعات النفسية كونها ذات طبيعية كيفية (مجدي عبد الله، ١٩٩٧، ٢٨٨).

منظور مدرسة الذات:

يرى أصحاب مدرسة الذات أن المريض بالاكتئاب النفسي يعاني من وجود فكرة عن نفسه تشعره بالضعف، وهذه الفكرة أكثر مما تحتمله ذاته فيحاول جاهدا اتخاذ عدة سبل والقيام بأوجه نشاط ليثبت لنفسه أنه أحسن مما يشعر، وكثيرا ما ينجح في ذلك ويستمر هروبه من مواجهة نفسه ومشكلته، وإذا شعر الفرد بانهايار إمكانياته الجسمانية والصحية، وأحس بضعفه وحقارة فكرته عن نفسه يصاب بالاكتئاب النفسي (حامد زهران ، ٢٠٠١ ، ٤٠٩).

الخلاصة:

مما سبق من عرض للنظريات النفسية المفسرة للاكتئاب، نرى أن كل نظرية وكل وجهة نظر نفسية فسرت الاكتئاب النفسي من زاوية وفقاً للأسباب التي اعتمدت عليها في بناء الفكرة، حيث ركزت كل واحدة منها على جانب من جوانب حياة الإنسان وربطت بينه وبين الاكتئاب النفسي، ومن هنا نستطيع القول أنه لا يمكننا أن نعتمد على مدرسة معينة لفهم الاكتئاب النفسي، فمن غير الممكن فصل جوانب حياة الإنسان عن بعضهما، ومن ثمَّ فإن من الضروري لمعرفة الاكتئاب النفسي وأسبابه وعلاجه يجب علينا الاهتمام بكل وجهات النظر المفسرة له من أجل الحصول على فهم واضح متجانس.

**

المبحث الأول

أثر الاكتئاب النفسي على الأهلية والولاية

المطلب الأول: الأهلية، وبها خمسة فروع:

إن الإدراك والاختبار هما العنصران الأساسيان لجعل الإنسان مكلفاً في شريعتنا الإسلامية، فالإنسان يولد إما كامل العقل أو فاقد العقل، وأحياناً يعترى هذا العقل أمراض فتخل من نموه الطبيعي، وقد يتوقف عند أوائل مراحل نمو عقل الإنسان، ولو نما جسمه نمواً طبيعياً.

وبناءً على ذلك يتوجب علينا التعرف على مصطلح الأهلية لغة واصطلاحاً.

الفرع الأول: تعريف الأهلية لغة:

تعريف الأهلية لغة: الصلاحية، وهي مأخوذة من قوله "فلان أهل لكذا" أي صالح ومستحق له (١).

الفرع الثاني: تعريف الأهلية اصطلاحاً:

الأهلية اصطلاحاً وهي صلاحية الإنسان لوجوب الحقوق المشروعة له، وعليه مناط صحة تصرف الإنسان (٢).

إضافة إلى ما تقدم قال الله عز وجل في كتابه الكريم: "وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا" (الفتح : ٢٦)، نلاحظ هنا موضع الأهلية تؤكد المعنى الاصطلاحي، فالأصل أن الأهلية تكون كاملة عند الإنسان.

الفرع الثالث: عوارض الأهلية:

إن عوارض الأهلية اثنان، الأولى سماوية والثانية مكتسبة، فأصل الأولى أن لا دخل للإنسان بها، أي تكون مقدرة من الله عز وجل على الإنسان من دون إرادة

(١) لسان العرب "١١/٢٨" مادة أهل.

(٢) الموجز في أصول الفقه للشيخ محمد عبيد الله الأسعدي، قدم له الشيخ عبد الفتاح أبو غده، دار النشر: دار السلام - مصر، ص ٢٦. كشف الأسرار "ب/٢٣٥".

أثر الاكتئاب النفسي

منه أو اختيار، منها الجنون والعتة والنسيان، والنوم والإغماء والرق والمرض وغيره.

فكل ما ذكر لا يؤثر في أهلية الأداء إلا العته والجنون فتثبت لصاحبها أهلية الأداء ناقصة .

أما العته لغة: نقصان العقل من غير جنون أو دهش^(١).

والعته اصطلاحاً: آفة توجب خللاً في العقل فيصير صاحبها مختلط الكلام، فيشبه بعض كلامه كلام العقلاء، وبعضه كلام المجانين.

ومما سبق يبدو لنا وجه الشبه الواضح ما بين تعريف العته من تعريف مصطلح لب البحث وهو "الاكتئاب النفسي"، إلا أن العته سماوي، بينما الاكتئاب النفسي قد يكون سماوياً عندما يكون (وراثياً)، وقد يكون مكتسباً بعد ظروف معينة.

الجنون في اللغة: مأخوذ من أجنه الله فجُنَّ.

أما الجنون في الشرع فإنه: اختلال للعقل يمنع من جريان الأفعال والأقوال على نهج العقل.

فالجنون يؤثر في أهلية الأداء فهو مسقط للعبادات، وفي زكاة المال للمجنون خلاف، وأما المعاملات فحكمه حكم الصبي غير المميز، وأما أهلية الوجوب لا تؤثر فيه.

دليل شرعي على المجنون:

- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ"^(٢).

(١) دليل شرعي على العته الراوي: عن عامر بن ربيعة/ المحدث: ابن عبد البر / المصدر الاستنكار - سمعت علياً رضي الله عنه يقول: كل طلاق جائز إلا طلاق المعتوه.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (١٤٢٣) ، والنسائي في السنن الكبرى (٧٣٤٦)، حكمه: صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

د . أسامة محمد زغلول متولي مرسي

الحكم الشرعي: الجنون يرفع عن صاحبه أهلية الأداء. ووجه الدلالة: "وعن المجنون" يشمل رفع الحرج للمجنون، بالإضافة إلى ما تقدم يتضح أن العوارض المكتسبة للأهلية:

إما من الإنسان نفسه أو من غيره، فالعوارض المكتسبة من الإنسان نفسه هي:

١- الجهل. ٢- السكر. ٣- الهزل. ٤- السفه.

٥- السفر. ٦- الخطأ.

فلا يؤثر في أهلية الأداء.

والعوارض الوحيد الذي يكون مكتسباً من غير الإنسان هو الإكراه فلا تؤثر في أهلية الأداء لبقاء العقل .

الفرع الرابع: شروط الأهلية في الشرع:

صحة التصرف تتطلب أوصافاً معينة يشترط توافرها كاملة في الإنسان:

أ- البلوغ:

تعريف البلوغ لغة: الوصول، يقال بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلوغاً: وصل أو انتهى، وبلغ الصبي: احتلم وأدرك وقت التكليف، وكذلك بلغته الفتاة^(١).
البلوغ اصطلاحاً: انتهاء حد الصغر في الإنسان، يكون أهلاً للتكليف الشرعية، أو هو: قوة تحدث في الصبي، يخرج بها عن حالته الطفولية إلى غيرها^(٢).

(١) لسان العرب والمصباح المنير مادة: "بلغ".

(٢) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تأليف: محمد بن عبد الباقي الزرقاني - دار نشر دار الكتاب العلمية: بعد النشر ببيروت: سنة النشر ١٤١١هـ، الطبعة الأولى "٢٩٠/٥".
وشرح الصغير على أقرب المسالك، أحمد بن محمد بن أحمد بدر ديرة.

أثر الاكتئاب النفسي

قال تعالى: [وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ] (سورة النور: ٥٩) أي إذا بلغ الطفل الاحتلام وهو البلوغ واحتلم فعليه ألا يدخل على غير محارمه إلا بعد الاستئذان كما يفعل ذلك الرجال من قبله؛ إذ قد أصبح بالغاً الذي علامته الاحتلام أو بلوغ خمس عشرة سنة فأكثر وأصبح رجلاً تماماً، وذلك كما جاء في أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري، أما الفتيات فبلوغهن يكون عند نزول الدم في أوقات معلومة معدودة.

ب- العقل:

- ١- العقل لغة: المنع، ولهذا يمنع النفس من فعل ما تهواه، مأخوذ من عقال الناقة المانع لها من السير حيث شاعت، وهو أصل لكل علم^(١).
- ٢- أي أن الأداة التي هي تحرك الوعي في داخلنا هي العقل، والوعي عند الغفلة التي تجعل الإنسان يخلط بين المواضيع عامة والأمور الشرعية خاصة.
- ٣- العقل اصطلاحاً: هو ما يدرك به الإنسان الأشياء على حقيقتها^(٢).

ج- الرشد:

- لغة: خلاف الضلال، الرُّشْدُ، والرَّشْدُ، والرَّشَادُ: تنقُضُ الضلال، وهو: إجابة وجه الأمر والاهتداء^(٣).

(١) البحر المحيط في أصول الفقه، تأليف: بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله - دار النشر: دار الكتاب العلمية. لبنان. سنة ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م، الطبعة الأولى، تحقيق، د. محمد محمد تامر "٦٥/١".

(٢) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، المؤلف: الدكتور سعدي أبو حبيب. الناشر: دار الفكر. دمشق - سوريا، الطبعة الثانية - ص ٢٥٨.

(٣) الطريق لسان العرب، والمصباح المنير، والكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي، تحقيق: عدنان درويش محمد المصري. دار النشر مؤسسة رسالة بيروت سنة ١٩٩٨م. مادة "رشد".

د . أسامة محمد زغلول متولي مرسي

- والرشد في اصطلاح الفقهاء: الصلاح في المال لا غير عند أكثر العلماء، منهم أبو حنيفة ومالك وأحمد. وقال الحسن والشافعي وابن المنذر: الصلاح في الدين والمال (١).

الفرع الخامس: أثر الاكتئاب النفسي على الأهلية:

- درجات الاكتئاب النفسي التي تؤثر على الأهلية:

هناك خمس درجات لتحديد تأثير "الاكتئاب النفسي"، وبناءً على شدة الحالة يتبين لنا هل تسقط الأهلية أم لا، فالالاكتئاب النفسي المزمن يؤثر في الأهلية والمزمن الحاد والاكتئاب النفسي الذي يصاحبه أعراض ذهانية مثل: أفكار تقول للشخص أنه عديم القيمة أو تقوم بأمره أوامر غير منطقية، أو العكس تماماً مثلاً أن يشعر بالعظمة ، ينقص في أهلية المصاب؛ لأنه خلل حاد في المزاج يظهر في ألفاظ المصاب وسلوكه، وتكون هذه الدرجة متمكنة أكثر من بقية الدرجات؛ لأنه يكون في حالة تذبذب ملحوظ من قبل الآخرين ما بين مزاج غير المتناسق مع المستوى التطوري، فهو يشعر بعدم الأمن، وعدم التركيز والتعب الشديد، مع أرق شديد وخلل ملحوظ في الشهية ، كما تتابع عليه أفكار بالموت وتفكير منكر بالانتحار، ومن صفاته أيضاً ضعف همّة المصاب وضعف طاقته الجسدية وضعف الحماس والاندفاع والانفعال الشديد، مما ينتج بوضوح ضعف إرادة وتخبط واضح وضعف اختيار، ومن ثمّ ينتج نقص في أهلية الأداء.

(١) المعني والشرح الكبير، المغني ويليهِ الشرح الكبير ويليهِ معجم الفقه الحنبلي مستخلص من كتاب المغني لابن قدامة. تأليف: عبدالله بن محمد بن قدامة المقدسي أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد قدامة شمس الدين أبو الفرج ٤/٤١٥. ٤١٦، نهاية المحتاج) ٤/٣٥٣:٣٤٦.

أثر الاكتئاب النفسي

- درجات الاكتئاب النفسي التي لا تؤثر في الأهلية:

الدرجات التي تقل عن الاكتئاب النفسي المزمن أو المصاحب للأعراض الذهنية، فهي تكون في فترات مختلفة، ومتباعدة أعراضها، فقد يجتمع عرضان دون الآخر وهكذا.

فبذلك يتضح عدم تأثير بقية درجات الاكتئاب النفسي على الأهلية لكمال عقلية المصاب مع اختلاف المزاج والحالة الصحية المتدنية التي تصاحبه دون تأثير على الإدراك.

المطلب الثاني: الولاية، وبها خمسة فروع:

الفرع الأول: تعريف الولاية:

الولاية لغة: القرابة، السلطان، (ولي المرأة): من يلي عقد النكاح عليها ولا يدعها تستبد بعقد النكاح من دونه . (المعجم الوسيط باب "ولي").
الولاية اصطلاحاً: تنفيذ القول على الغير، شاء الغير أو أبي^(١).
فالولاية تدل على أمرين: المحبة والنصرة، وقد قال الله عز وجل في كتابه:
"اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا" (البقرة: ٢٥٧).

يثبت ولايته لبعض خلقه، أما ولاية الناس لبعضهم فتكون عن طريق اتباع ما جاء في القرآن والسنة، خصوصاً أنها تتعلق بمصالح العباد مثل ولاية ولي الأمر على الزواج، قال الله في كتابه الكريم: "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ". (آية: ٣١ سورة آل عمران آية ٣١).

فثمره اتباع الأحكام بالنهج الصحيح الذي أراده الله سبحانه وتعالى للعباد هو ولاية الله للمتبع.

(١) كتاب التعريفات، ص ٢٥٤.

د . أسامة محمد زغلول متولي مرسي

الفرع الثاني : أنواع الولاية:

إن الولاية حق شرعي، ينفذ بمقتضاه الأمر السليم على النفس أو الغير، ولخص الفقهاء أنواع ولاية التزويج في ثلاثة أنواع:

١- ولاية الإيجاب: وتعني أن الولي ينفرد برأيه في تزويج من تحت ولايته من أن يكون للمولي عليه حق الرفض والاعتراض.

٢- ولاية النذب: والاستحباب وتعني أن المرأة يستحب لها أن تأذن لوليها بأن يزوجه أي يباشر عقد تزويجها بإذنها أو موافقتها.

٣- ولاية الشركة: وتعني أنه لا بد من اشتراك الولي وموليته في الرضا بالزواج ، فلا ينفرد الولي ولا يستبد بتزويج موليته كما في ولاية الإيجاب بل لا بد من رضا موليته وإذنها في الزواج، فلا تنفرد هي بالعقد بل الولي هو الذي ينشئ بعبارته عقد الزواج عليها.

الفرع الثالث : شروط الولاية:

للولي شروط لا بد من توافرها حتى يتولى عقد الزواج وإلا تسقط منه وتنتقل إلى من بعده في الدرجة، واختلفت هذه الشروط عدداً وقوة من مذهب إلى آخر، أما ما اتفقوا عليه فهو:

أولاً: الإسلام، فلا يصح غير المسلم.

ثانياً: البلوغ، فلا يصح العقد من صبي لعدم أهليته.

ثالثاً: الذكورة، فلا يصح العقد من أنثى.

- ثلاثة شروط أضافتها المالكية على ما سبق وهي : عدم الإكراه، والإسلام،

خلو الولي من الإحرام حجاً كان أو عمرة.

- أما الشافعية فزادت على شروط المالكية شرط الرشد والعدالة والحرية.

أثر الاكتئاب النفسي

- وشروط الحنابلة: العقل والحرية والعدالة على اختلاف "زيادة على المتفق الذي تم ذكره".

- ختاماً الحنفية فصلوا أكثر من شروط للولاية:

أ- شرط ثبوت أصل الولاية.

ب- شرط تقدم الولاية.^(١)

أي هناك شروط ترجع للولي نفسه مثل العقل والبلوغ وأنه يرث وهناك شروط للمولي عنه وبعضها يرجع إلى التصرف نفسه.

الفرع الرابع: أثر الاكتئاب النفسي على الولاية:

- درجات الاكتئاب النفسي التي تؤثر في الولاية:

مما لا شك فيه أن تصرفات الولي منوطة بتلبية المصلحة النافعة للمولى عليه، فالرشد في الإسلام يعني التكليف ومسؤولية الإنسان عن أفعاله وأعماله، إن الذي يعيش تحت ولي يقوم برعاية أمواله وممتلكاته تسقط الولاية عنه إذا أصبح المولي عنه راشداً، فالولاية نفعها متعدّد، فالإكتئاب النفسي الحاد المزمن أو المصاحب لأعراض ذهانية يفقد مقوماً مهمّاً من مقومات الولاية وهي العقل والرشد عند الشافعية.

فالدرجة الشديدة المزمنة أو المصاحبة للأعراض الذهانية تُفقد صاحبها الاتزان في أخذ الرعاية والولاية؛ لأنه في حالة متدنية، فمثلاً صاحب الأعراض الذهانية يشعر وكأنه يتلقى أوامر من كائنات خيالية كانت أو واقعية وقد ينفذها فهو غير سوي في ولايته على نفسه حتى يُصبح ولياً عن الغير، وخصوصاً أن أمور الزواج تحتاج إلى ولي راشد عامل.

(١) بدائع الصنائع، للكاساني (٢/٢٣٢).

===== د . أسامة محمد زغلول متولي مرسى =====

الفرع الخامس: درجات الاكتئاب النفسي التي لا تؤثر في الولاية:

إن درجات الاكتئاب النفسي المتوسطة وما دونها لا تؤثر في الولاية؛ لأنها موسمية، ويرجع المصاب إلى رشده وعقله في كثير من الأحيان، فيكون كالمريض المرض الجسدي الذي عندما يمرض تصحبه أعراض كأعراض الاكتئاب النفسي.

**

المبحث الثاني

أثر الاكتئاب النفسي على النفقة الزوجية ونفقة الأقارب

يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ النِّسَاءَ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ، أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمُ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ، وَمِنْ حَقِّكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلَّا يُؤْطِئَنَّ فُرُوشَكُمْ أَحَدًا، وَلَا يَعْصِيَنَّكُمْ فِي مَعْرُوفٍ، فَإِذَا فَعَلْنَ ذَلِكَ فَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ"^(١)، في هذا الحديث دليل واضح على وجوب نفقة الزوجة على الزوج، وجه الدلالة هو: عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف.

المطلب الأول: ما تعريف النفقة؟

الفرع الأول: تعريف النفقة لغة: الدراهم ونحوها مأخوذة من النافقاء موضع يجعله اليربوع في مؤخر الجحر رقيباً يعده للخروج إذا أتى من باب الجحر دفعه وخرج منه، ومنه سمي النفاق للخروج من الإيمان أو خروج الإيمان من القلب.^(٢) والإخراج والذهاب، يقال: نفقت الدابة، وإذا خرجت من ملك صاحبها بالبيع أو الهلاك، كما يقال: نفقة السلعة إذا راجت بالبيع، وبابه دخل، ومصدره النفوق كالدخول والنفقة اسم المصدر، وجمعها نفقات.

تعريف النفقة اصطلاحاً: كفاية من يمونه خبزاً وأدمًا وكسوة وسكنًا وتوابعها)^(٣). وعرفه الفقهاء: إخراج الشخص مؤنة من تجب عليه نفقته من خبز، وأدم وكسوة، ومسكن، وما يتبع ذلك من ثمن ماء، رهن، مصباح)، قال تعالى:

(١) تفسير الطبري (٣٩٢/٢) حكمه: صحيح، الفوائد المنتخبات في شرح أخصر المختصرات.

(٢) شرح منتهى الإرادات للبهوتي - دقائق أولي النهي، ط عالم الكتب - المؤلف: منصور بن يونس، فقيه الحنابلة، ص ٢٢٥.

(٣) نفسه .

د . أسامة محمد زغول متولي مرسي

"لينفق ذو سعة من سعته" (الطلاق:٧)، أمر الله عز وجل الميسور حاله ينفق من يسر، أما الفقير فيرجع الأمر إلى استطاعته^(١).

الفرع الثاني: شروط وجوب النفقة الزوجية ونفقة الأقارب:

إن حكم النفقة الزوجية واجبة على الزوج بسبب الزوجية، أما وجوب نفقة الأقارب على الأب بسبب القرابة.

الدليل :

١- القرآن: "الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ" (سورة النساء آية: ٣٤)، وفي السنة ما رواه البخاري حديث " خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غَنَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ" ^(٢) ، تَقُولُ الْمَرْأَةُ: إِمَّا أَنْ تُطْعِمَنِي، وَإِمَّا أَنْ تُطَلِّقَنِي، وَيَقُولُ الْعَبْدُ: أَطْعِمْنِي وَاسْتَعْمِلْنِي، وَيَقُولُ الْإِبْنُ: أَطْعِمْنِي، إِلَى مَنْ تَدْعُنِي؟! فَقَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: لَا، هَذَا مِنْ كَيْسِ أَبِي هُرَيْرَةَ^(٣) ، أما الإجماع فكان حاصلًا في هذه المسألة بين العلماء على وجوب النفقة الزوجية، كما أن حكم نفقة الأقارب واجبة مع القدرة من الفضل.

لذلك هناك شروط لوجوب النفقة الزوجية قيدتها الشريعة الإسلامية مراعية المصالح للطرفين الزوج والزوجة، فقيد كل مذهب شروطًا لوجوب النفقة الزوجية.

(١) الفوائد المنتخبات في شرح أخصر المختصرات، المؤلف: عثمان بن عبد الله بن جامع الحنبلي، المحقق: عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم (ج ١، ٢)، عبد الله بن محمد بن ناصر البشر (ج ٣، ٤) الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

(٢) صحيح البخاري، (٥٣٥٦).

(٣) نفسه (٥٣٥٥).

أثر الاكتئاب النفسي

الحنفية: قالو في وجوب النفقة أكثر من ستة شروط: أن يكون العقد صحيحاً، أن تكون الزوجة مطيقة للوطء منه أي من غيره، أن تسلم نفسها وإلا تكون ناشزة، ألا تكون مرتدة، ألا تفعل ما يوجب حرمة المصاهرة، ألا تكون معتدة عدة وفاة، وقد قيدوا أيضا شروط خاصة إذا كانت أمة.

أما المالكية - فقالوا تنقسم شروط وجوب النفقة الزوجية على زوجها إلى

قسمين:

أ- شروط لوجوبها قبل الدخول:

وهو أن تدعوه الزوجة أو وليها المجرى إلى الدخول فلم يدخل ، وأن تكون مطيقة للوطء، وألا تكون مريضة مرضاً شديداً، وأن يكون الزوج بالغاً.

ب- شروط لوجوبها بعد الدخول:

أما بعد الدخول فيجب عليه النفقة سواء كانت شروط ما قبل الدخول تحققت بعد الدخول أم لا، أي تجب مطلقاً.

والشافعية قالوا: يشترط لوجوب نفقة على الزوج شروط هي:

١- تمكنه من نفسها.

٢- أن تكون مطيقة للوطء.

٣- ألا تكون ناشزة.

ختاماً شروط الحنابلة:

١- أن تسلم له نفسها تسليماً تاماً.

٢- أن تكون ممن يوطأ مثلها.

الخلاصة: تفردت المالكية بزيادة الشروط وهي ما قبل الدخول ، أما الجمهور

فنستطيع أن نلخص ما قالوا فيما يلي :

١- أن تمكن المرأة نفسها لزوجها تمكيناً تاماً.

د . أسامة محمد زغلول متولي مرسي

- ٢- أن تكون الزوجة يمكن وطؤها.
- ٣- أن يكون الزواج صحيحاً.
- ٤- ألا يفوت حق الزوج في احتباس الزوجة بدون مسوغ شرعي^(١).

شروط نفقة الأقارب:

هناك ٣ شروط لوجوب الإنفاق على القريب:

أولاً: أن يكون القريب فقيراً لا مال له ولا قدرة له على الكسب لعدم البلوغ أو الكبر أو الجنون أو الزمانة المرضية، ويستثنى الأبوان فتجب لهما النفقة ولو مع القدرة على الكسب بالصحة والقوة. فإن كان القريب موسراً بمال أو كسب يستغني به غير الوالدين، فلا نفقة له؛ لأنها تجب على سبيل المواساة، والموسر مستغن عن المواساة. والراجح عند المالكية أن النفقة للوالدين على الولد لا تجب إذا قدر على الكسب وتركاه.

ثانياً: أن يكون الملزم بالنفقة موسراً مالكاً نفقة فاضلة عن نفسه إما من ماله وإما من كسبه، فيلزم القادر على التكسب أن يعمل للإنفاق على قريبه الفقير. ويستثنى الأب، فنفقة أولاده واجبة عليه ولو كان معسراً. وكذلك الزوج، فنفقة زوجته واجبة عليه ولو كان معسراً. وقال المالكية: لا يجب على الولد المعسر تكسب لينفق على والديه ولو قدر على التكسب .

(١) الفقه الإسلامي وأدلته (الشامل للأدلة الشرعية والآراء المذهبية وأهم النظريات الفقهية وتحقيق الأحاديث النبوية وتخريجها) المؤلف: أ. د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلامي وأصوله بجامعة دمشق - كلية الشريعة الطبعة: الرابعة، ٢٠٢٢/٢.

أثر الاكتئاب النفسي

ودليل اشتراط هذا الشرط حديث: "ابدأ بنفسك ثم بمن تعول"^(١) ، وحديث جابر المتقدم: "إذا كان أحدكم فقيراً فليبدأ بنفسه، فإن فضل فعلى عياله، فإن كان فضل فعلى قرابته"^(٢) ، وحديث أبي هريرة عند أبي داود وغيره: "أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: تصدقوا، فقال رجل: يا رسول الله عندي دينار، قال: تصدق به على نفسك، قال: عندي آخر، قال: تصدق به على زوجتك، قال: عندي آخر قال تصدق به على ولدك، قال: عندي آخر، قال: تصدق به على خادمك، قال عندي آخر قال: أنت أبصر"^(٣).

ثالثاً: أن يكون المنفق قريباً للمنفق عليه ذا رحم محرم منه، مستحقاً للإرث منه في مذهب الحنفية. أما في رأي الحنابلة فيشترط أن يكون المنفق وارثاً لقوله تعالى: "وعلى الوارث مثل ذلك" (البقرة: ٢٣٣). وأما عند المالكية فأن يكون أباً أو ابناً، وعند الشافعية أن يكون من الأصول أو الفروع.^(٤)

الفرع الثالث: أثر درجات الاكتئاب النفسي على النفقة الزوجية ونفقة الأقارب:

إن النفقة بشكل عام هي قدر الكفاية من الإطعام والكسوة والمسكن وما يحتاج إليه من زيادة الكسوة في الشتاء ، فيتبين فيما سبق أن النفقة حاجات أساسية لا يتمكن صاحب الاكتئاب النفسي ذو الدرجة العالية المزمنة أو المصاحبة لأعراض

(١) المغني، موفق الدين ابن قدامة (٣٧٥/١١).

(٢) صحيح النسائي (٤٦٦٧).

(٣) المحلى، لابن حزم (١٠٥/١٠).

(٤) الفقه الإسلامي وأدلته (الشامل للأدلة الشرعية والآراء المذهبية وأهم النظريات الفقهية وتحفيق الأحاديث النبوية وتخريجها) المؤلف: أ. د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلامي وأصوله بجامعة دمشق - كلية الشريعة الطبعة: الرابعة.

د . أسامة محمد زغلول متولي مرسى

ذهانية ، بأن يتحمل هذه المسؤولية ، بسبب ما تم ذكره من عواصف مزاجية بدرجة غير طبيعية تجعلها شبيهة فاقد العقل ، فالأمر هنا يرجع إلى الزوجة مثلاً إذا تضررت بسبب التقصير، أو البنت من تقصير والدها ، ترفع شكاها للقاضي ليفرض النفقة المقدرة حسب استطاعة المنفق، أم ما دون ذلك من الدرجات المتوسطة والتي تكون أخف منها لا تؤثر على النفقة الزوجية بسبب سلامة عقله في أوقات كبيرة ، لعدم تمسك المرض معه طوال الوقت ، فيرجع إلى رشده في أوقات كثيرة وإن تباعدت.

**

المبحث الثالث

أثر الاكتئاب النفسي على ثبوت النسب

النسب هو الرابط الوثيق بين العائلات المختلفة، ويكون ذلك عن طريق ارتباط الزوجين من أفراد عائلتين، ثم يحدث الترابط بينهما من خلال هذا الزواج، ومن هنا يأتي مصطلح النسب والذي سنوضحه أكثر في تعريفه لغة واصطلاحاً وبعض المسائل المتعلقة بها.

الفرع الأول: تعريف النسب لغة:

النسب في اللغة مصدر نسب ، يقال نسبته إلى أبيه نسبا عزوته إليه ، وانتسب إليه اعتزى . والاسم النسبة بالكسر ، وقد تضم .

قال ابن السكيت يكون النسب من قبل الأب ومن قبل الأم^(١).

الفرع الثاني : تعريف النسب شرعاً:

هو القرابة وهي الاتصال بين إنسانين بالاشتراك في ولادة قريبة أو بعيدة، وقال المالكية هو الانتساب لأب معين.

الفرع الثالث : حكم الإقرار بالنسب وحقوقه:

النسب مبني على الاحتياط، فيحرم على الإنسان أن يقر بنسب ولد وهو يعلم أنه ليس منه ، كما يحرم عليه نفي ولد وهو يعلم أنه منه ، لحديث "وأئماً رجلٍ جَدَّ ولَدَهُ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، احْتَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفَضَحَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ"^(٢) ، ولعظيم التغليظ على فاعل ذلك وقبيح ما يترتب عليهما من المفساد كان من الكبائر .

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت الطبعة: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧هـ).

(٢) بلوغ المرام (٣٣١).

د . أسامة محمد زغلول متولي مرسي

حقوق النسب:

في النسب عدة حقوق ، ففيه حق للولد حتى يجد أبا يرعاه وينفق عليه ، وفيه حق للأم ؛ لأنها تعبير بولد لا أب له كما أن فيه حق الأب أيضا ، وكذلك فيه حق الله تعالى ؛ لأن في وصله حقا لله عز وجل والنسب لا يكون محلا للبيع ؛ لأنه ليس بمال ، وكذلك لا يكون محلا للهبة والصدقة والوصية^(١).

أسباب النسب:

السبب الأول: هو النكاح وله صورتان:

أ- صحيح متفق على ثبوت النسب لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " الأَوْلَادُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرِ"^(٢).

ب- فاسد ويلحق بهما الوطء بشبهة.

فأما النكاح الصحيح ، فقد اتفق الفقهاء على ثبوت نسب الولد الذي تأتي به المرأة المتزوجة زواجا صحيحا لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم " (الولد للفراش وللعاهر الحجر) " ، والمراد بالفراش الزوجية وما في حكمها ، ويشترط لذلك ما يلي:

أ- أن يتصور الحمل من الزوج عادة ، وذلك ببلوغ الذكر تسع سنين قمرية عند المالكية والشافعية ، واثنني عشرة سنة عند الحنفية ، وعشر سنين عند الحنابلة^(٣).

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع المؤلف: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت ٥٨٧هـ) الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٢) فَتْحُ الْبَارِي، ط السَّلَفِيَّة (٥ / ٣٧١).

(٣) حَاشِيَةُ ابْنِ عَابِدِينَ (٤ / ٤٦٥) . وعلى ذلك لا يلحق الولد بالزوج إن كان طفلا دون التاسعة من عمره بالاتفاق ، كما لا يلحق بالمجبوب وهو مقطوع الذكر عند الجمهور .

أثر الاكتئاب النفسي

وذهب الحنفية إلى أنه يلحق به النسب إذا كان يُنزل وإلا فلا. أما مسلول الخصيتين إذا بقي ذكره فيلحق به الولد على المذهب عند الشافعية والحنابلة ، وقال مالك أرى أن يسأل أهل المعرفة بذلك ، عن الخصي والمحبوب ، فإن كان يولد لمثله يلحق به الولد وإلا فلا.

ب- أن تلده الزوجة خلال مدة الحمل وأقلها ستة أشهر وأقصاها خمس سنوات، على التفصيل في مصطلح.

ج- إمكان تلاقي الزوجين بعد العقد ، فإن طلق الزوج زوجته في مجلس العقد، أو جرى عقد الزواج وكان الزوجان متباعدين أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب لم يلحقه الولد عند الجمهور^(١).

السبب الثاني: الاستيلاء

الاستيلاء في اللغة : طلب الولد ، واصطلاحا هو تصيير الجارية أم ولد ، يقال فلان استولد جاريته إن صيرها أم ولده . ويترتب على الاستيلاء ثبوت النسب إذا أقر السيد بالوطء عند الجمهور خلافا للحنفية؛ حيث اشترطوا إقراره بأن الولد منه^(٢).

الفرع الرابع: أدلة ثبوت النسب:

أ- الفراش:

تستعمل كلمة الفراش عند الفقهاء بمعنى الوطء ، اتفق جميع الفقهاء على ثبوت النسب بالفراش ، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت اختصم سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة في غلام، فقال سعد: هذا يا رسول الله ابن أخي عتبة بن

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت عدد

الأجزاء: ٤٥ جزءا الطبعة: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ) ، جزء ٤٠ صفحة ٢٣٤.

(٢) المصدر السابق (ص ٢٣٧).

د . أسامة محمد زغلول متولي مرسي

أبي وقاص، عهد إليّ أنه ابنه، انظر إلى شبهه، وقال عبد بن زمعة: هذا أخي يا رسول الله، ولد على فراش أبي من وليدته، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شبهه فرأى شبهًا بيئًا بعتبة، فقال: هو لك يا عبد بن زمعة، الولد للفراش وللعاهر الحجر، واحتجبي منه يا سودة بنت زمعة قالت: فلم ير سودة قط^(١). فأثبت النبي صلى الله عليه وسلم نسب الغلام لصاحب الفراش، على الرغم من الشبه البين بمن ادعاه. وهنا النسب لا يسقط إلا باللعان.

ب- القيافة: هو التعرف على نسب المولود بالنظر إلى أعضاء جسمه وأعضاء والده، هنا المسألة مختلف فيها على رأيين، الرأي الأول: ثبوت النسب بالقيافة، وأجازوا الاعتماد على إثبات النسب في القيافة إذا أصبح هناك تنازع ولم يتوافر الدليل الأقوى منه، والرأي الثاني: يقولون لا يثبت النسب بالقيافة.

ج- البيينة:

قال ابن القيم^(٢): اسم لما يبين الحق ويظهره، فذهب جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة إلى أن النسب لا يثبت بشهادة عدل وامرأتين، وإنما يثبت بشهادة رجلين عدلين؛ لأن النسب ليس بمال ولا يقصد به المال ويطلع عليه الرجال، فلم يكن للنساء في شهادته مدخل كالحدود والقصاص. وذهب الحنفية إلى أن النسب يثبت بشهادة رجلين أو رجل وامرأتين.

(١) أخرجه البخاري (٦٧٦٥)، ومسلم (١٤٥٧).

(٢) هو شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حزيز الزرعي الدمشقي، ولد في السابع من صفر ٦٩١هـ - ١٢٩٢م في مدينة دمشق، وتوفي في الثالث عشر من رجب ٧٥١هـ - ١٣٤٩م.

أثر الاكتئاب النفسي

د- الإقرار هو الإخبار عن ثبوت حق للغير على المخبر ، وقد اتفق الفقهاء على ثبوت النسب بالإقرار وإن اختلفوا في بعض التفاصيل .^(١)

درجات الاكتئاب النفسي التي تؤثر على ثبوت النسب :

بما أن الدرجة الشديدة للاكتئاب المصاحبة للأعراض الذهانية يصبح المصاب بها كالمجنون؛ لأنه يفقد قدرة التمييز بين الصواب والخطأ، فهو يؤثر بصورة واضحة على النسب فلا يؤخذ من مكتتب مصاحب للأمراض الذهانية قول ، أما إذا كان مكتتباً بدون مصاحبة الأمراض الذهانية فيؤخذ منه لأنه مميز، كما تفردت الحنفية في هذا الشرط لأهمية وعظمة موضوع النسب في الإسلام.

درجات الاكتئاب النفسي التي لا تؤثر على ثبوت النسب :

الدرجات التي لا تؤثر هي المتوسطة وما دونها؛ لما فيه من حصول على الرشد أو على الأقل ما صح فيه نضجا كمكلف ، قياسا على إقرار السفية بالنسب، فهو صحيح .

**

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٩-١) وملاحق تراجم الفقهاء الموسوعة الفقهية.

المبحث الرابع

أثر الاكتئاب النفسي على الكفاءة

المطلب الأول: تعريف الكفاءة لغة واصطلاحاً:

تعريف الكفاءة لغة : المماثلة والمساواة، يقال: فلان كفاء لفلان أي مساو له. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "المسلمون تتكافأ دماؤهم" (١) أي تتساوى، فيكون دم الوضيع منهم كدم الرفيع. ومنه قوله تعالى: "ولم يكن له كفواً أحد" (الإخلاص: ٤) أي لا مثيل له.

وفي اصطلاح الفقهاء: المماثلة بين الزوجين دفعا للعار في أمور مخصوصة، وهي عند المالكية: الدين، والحال (أي السلامة من العيوب التي توجب لها الخيار). وعند الجمهور: الدين، والنسب، والحرية، والحرفة (أو الصناعات)، وزاد الحنفية والحنابلة: اليسار (أو المال) (٢).

فالمساواة عندما تتحقق في الأمور الاجتماعية تحقق استقرار الحياة الزوجية بلا شك، وتوفير السعادة بين الزوجين ، بحيث لا تُعَيَّر المرأة أو أولياؤها بالزوج بحسب العرف.

وللفقهاء آرايان في اشتراط الكفاءة :

الرأي الأول: رأى بعضهم كالنثوري، والحسن البصري، والكرخي من الحنفية: أن الكفاءة ليست شرطاً أصلاً، لا شرط صحة للزواج ولا شرط لزوم، فيصح الزواج ويلزم سواء أكان الزوج كفوئاً للزوجة أم غير كفاء، واستدلوا بما يأتي:

(١) إرواء الغليل (٢٢٠٨).

(٢) الفقه الإسلامي وأدلته (الشامل للأدلة الشرعية والآراء المذهبية وأهم النظريات الفقهية وتحفيق الأحاديث النبوية وتخريجها) أ. د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلامي وأصوله بجامعة دمشق - كلية الشريعة الناشر: دار الفكر - سورية - دمشق الطبعة: الرابعة.

أثر الاكتئاب النفسي

١- قوله صلى الله عليه وسلم: "الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على عجمي، إنما الفضل بالتقوى"^(١)، فهو يدل على المساواة المطلقة، وعلى عدم اشتراط الكفاءة، يقول تعالى: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" (الحجرات: ١٣)، وقوله تعالى: "وهو الذي خلق من الماء بشراً" (الفرقان: ٥٤).

ورد عليه بأن معناه أن الناس متساوون في الحقوق والواجبات، وأنهم لا يتفاضلون إلا بالتقوى، أما فيما عداها من الاعتبارات الشخصية التي تقوم على أعراف الناس وعاداتهم، فلا شك في أن الناس يتفاوتون فيها، فهناك تفاضل في الرزق والثروة: "والله فضل بعضكم على بعض في الرزق" (النحل: ٧١)، وهناك تفاضل في العلم يقتضي التكريم: "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" (المجادلة: ١١) وما يزال الناس يتفاوتون في منازلهم الاجتماعية ومراكزهم الأدبية، وهو مقتضى الفطرة الإنسانية، والشريعة لا تصادم الفطرة والأعراف والعادات التي لا تخالف أصول الدين ومبادئه.

٢- الحديث المتقدم: وهو أن بلالاً رضي الله عنه خطب إلى قوم من الأنصار، فأبوا أن يزوجه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قل لهم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تزوجوني"، أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالتزويج عند عدم الكفاءة، ولو كانت معتبرة لما أمر؛ لأن التزويج من غير كفاء غير مأمور به.

(١) أخرجه ابن لال بلفظ قريب عن سهل بن سعد "الناس كأسنان المشط، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى" (سبل السلام: ٣/١٢٩).

د . أسامة محمد زغلول متولي مرسي

ويؤكد أنه سالمًا مولى امرأة من الأنصار زوجه أبو حذيفة من ابنة أخيه: هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة^(١). وكذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم امرأة قرشية هي فاطمة أخت الضحاك بن قيس، وهي من المهاجرات الأول أن تتزوج أسامة قائلاً لها: "انكحي أسامة"^(٢) وروى الدارقطني أن أخت عبد الرحمن بن عوف كانت تحت بلال.

ويدل له: "أن أبا هند حرم النبي صلى الله عليه وسلم في اليافوخ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا بني بياضة، أنكحوا أبا هند، وأنكحوا إليه"^(٣). ورد على الأحاديث بمعارضتها بأحاديث أخرى تتطلب الكفاءة فتكون محمولة على النذب والأفضل، وبأن التسوية بين العرب وغيرهم إنما هو في أحكام الآخرة، أما في الدنيا فقد ظهر فضل العربي على العجمي في كثير من أحكام الدنيا.

٣- الدماء متساوية في الجنائيات، فيقتل الشريف بالوضيع، والعالم بالجاهل، فيقاس عليها عدم الكفاءة في الزواج، فإن كانت الكفاءة غير معتبرة في الجنائيات، فلا تكون معتبرة في الزواج بالأولى.

ورد عليه بأنه قياس مع الفارق؛ لأن التساوي في القصاص في مسائل الجنائيات، إنما طلب لمصلحة الناس وحفظ حق الحياة، حتى لا يتجرأ ذو الجاه أو النسب على قتل من دونه ممن لا يكافئه. أما الكفاءة في الزواج فلتحقيق مصالح

(١) هند بنت عتبة القرشية الكنانية، أبوها عتبة بن ربيعة سيد من سادات قريش وبني كنانة، عرف بحكمته وسداد رأيه. وهي إحدى نساء العرب اللاتي كانت لهن شهرة عالية قبل الإسلام وبعده.

(٢) المسند (٢٧٣٢٨)، حكمه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) سنن الدارقطني (٣٧٩٤)، حكمه: حسن.

أثر الاكتئاب النفسي

الزوجين من دوام العشرة مع المودة والألفة بينهما، ولا تتحقق تلك المصالح إلا باشتراط الكفاءة.

الرأي الثاني: رأى جمهور الفقهاء (منهم المذاهب الأربعة): أن الكفاءة شرط في لزوم الزواج، لا شرط صحة فيه، عملاً بالأدلة التالية من السنة والمعقول:
١- السنة: حديث علي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "ثلاث لا تؤخر: الصلاة إذا أتت، والجنابة إذا حضرت، والأيم إذا وجدت لها كفوًا"^(١).
وحديث عائشة: "تخيروا لنطفكم، وأنكحوا الأكفاء"^(٢).

المطلب الثاني: أوصاف الكفاءة

اختلف الفقهاء في خصال الكفاءة، فهي عند المالكية اثنان: وهما الدين والحال، أي السلامة من العيوب المثبتة للخيار، لا الحال بمعنى الحسب والنسب. وعند الحنفية ستة، هي: الدين، والإسلام، والحرية، والنسب، والمال، والحرفة. وعند الشافعية خمسة، هي: الدين أو العفة، والحرية، والنسب، والسلامة من العيوب المثبتة للخيار، والحرفة. وعند الحنابلة خمسة أيضاً، هي: الدين، والحرية، والنسب، واليسار (المال)، والصناعة أي الحرفة.

فهم متفقون على الكفاءة في الدين، واتفق غير المالكية على الكفاءة في الحرية والنسب والحرفة، واتفق المالكية والشافعية على خصلة السلامة من العيوب المثبتة للخيار، واتفق الحنفية في ظاهر الرواية والحنابلة على خصلة المال، وانفرد الحنفية بخصلة إسلام الأصول.

(١) الدراية، لابن حجر العسقلاني (٦٣/٢)، حكمه: إسناده ضعيف.

(٢) شرح فتح القدير، للكمال بن الهمام (٢٨١/٣)، حكمه: حسن.

١ - الديانة :

المقصود منها هنا هي العفة أو الصلاح أو التقوى في أمور الدين وأحكامها ، فالفاسق لا يكون كفناً لامرأة عدل لقوله تعالى: " أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون " (السجدة: ١٨) .

وقال محمد بن الحسن^(١): إن الفسق لا يمنع الكفاءة، إلا إذا كان صاحبه متهتكاً يصفع ويسخر منه، أو يخرج إلى الأسواق سكران؛ لأن الفسق من أحكام الآخرة، فلا تبتنى عليه أحكام الدنيا وهل يكون الفاسق كفناً لفاسقة بنت صالح، قال بعض الحنفية: لا يكون الفاسق كفناً لها، وقال ابن عابدين: إن المفهوم من كلامهم اعتبار صلاح الكل أي الفتاة والأب، وإن من اقتصر على صالحة أو صلاح آبائها نظر إلى الغالب من أن صلاح الولد والوالد متلازمان، فعلى هذا لا يكون الفاسق كفناً لصالحة بنت صالح؛ بل يكون كفناً لفاسقة بنت فاسق، وكذا لفاسقة بنت صالح، لأن ما يلحقه من العار بينته أكثر من العار بصهره. وإذا كانت صالحة بنت فاسق، فزوجت نفسها من فاسق، فليس لأبيها حق الاعتراض؛ لأنه مثله، وهي قد رضيت به.

٢ - الإسلام:

انفرد الحنفية بشرط الإسلام لغير العرب ، أي إسلام الآباء ، فمثلاً من كان قد أسلم بنفسه لا يكون كفناً لمن له أب واحد في الإسلام ؛ لأن التقاخر فيما بين الموالي (غير العرب) بالإسلام.

ودليل الحنفية على هذه الخصلة: أن تعريف الشخص يكون كاملاً بالأب والجد، فإذا كان الأب والجد مسلماً، كان نسبه إلى الإسلام كاملاً.

(١) محمد بن الحسن الشيباني عالم مسلم، فقيه ومحدث ولغوي، صاحب الإمام أبي حنيفة النعمان، وناشر مذهبه، يلقب "صاحب أبي حنيفة، وفقه العراق".

أثر الاكتئاب النفسي

ولا تعتبر هذه الخصلة إلا في غير العرب؛ لأنهم بعد إسلامهم صار فخرهم بالإسلام، وهو شرفهم الذي قام مقام النسب. أما العرب فلا يعتبر فيهم التكافؤ في إسلام الآباء؛ لأن العرب يتفاخرون بأنسابهم، ولا يتفاخرون بإسلام أصولهم، فالعربي المسلم الذي ليس له أب مسلم كفاء للعربية المسلمة التي لها أب وأجداد مسلمون .

٣- الحرية:

شرط في الكفاءة عند الجمهور (الحنفية والشافعية والحنابلة)، فلا يكون العبد ولو مبعوضاً كفتناً لحره ولو كانت عتيقة؛ لأنه منقوص بالرق، ممنوع من التصرف في كسبه، غير مالك له، ولأن الأحرار بمصاهرة الأرقاء كما يعيرون بمصاهرة من دونهم في النسب والحسب.

واشترط الحنفية والشافعية أيضاً حرية الأصل، فمن كان أحد آباءه رقيقاً ليس كفتناً لحر الأصل، أو لمن كان أبوها رقيقاً ثم أعتق، ومن كان له أبوان في الحرية ليس كفتناً لمن كان له أب واحد في الحرية.

وأما المالكية فلم يشترطوا الحرية في الكفاءة، وقالوا: في كفاءة العبد للحره، وعدم كفاءته لها على الأرجح تأويلان: المذهب أنه ليس بكفاء، والراجح أنه كفاء، وهو الأحسن؛ لأنه قول ابن القاسم.

٤ - النسب: وسماه الحنابلة: المنصب.

المراد بالنسب: صلة الإنسان بأصوله من الآباء والأجداد. أما الحسب: فهو الصفات الحميدة التي يتصف بها الأصول أو مفاخر الآباء، كالعلم والشجاعة والجود والتقوى. ووجود النسب لا يستلزم الحسب، ولكن وجود الحسب يستلزم النسب. والمقصود من النسب أن يكون الولد معلوم الأب، لا لقيطاً أو مولى إذ لا نسب له معلوم. ولم يعتبر المالكية الكفاءة في النسب، أما الجمهور (الحنفية

د . أسامة محمد زغلول متولي مرسي

والشافعية والحنابلة وبعض الزيدية) فقد اعتبروا النسب في الكفاءة، لكن خصص الحنفية النسب في الزواج من العرب؛ لأنهم الذين عنوا بحفظ أنسابهم، وتفاخروا بها، وحدث التعبير بينهم فيها.

ويتفق الجمهور على أن قریشاً وهم أولاد النضر بن كنانة أفضل نسباً من سائر العرب، فالقرشية لا يكافئها إلا قرشي مثلها، والقرشي كفاء لكل عربية. وأن المرأة العربية غير القرشية يكافئها أي عربي من أي قبيلة كانت، ولكن لا يكافئها غير العربي أي العجمي.

ودليل الجمهور حديث: "العرب بعضهم أكفاء لبعض، قبيلة بقبيلة، ورجل برجل، والموالي بعضهم أكفاء لبعض، قبيلة بقبيلة، ورجل برجل، إلا حائك أو حجام"، ونوقش أن هذا الحديث ضعيف.

والحق أن اعتبار النسب في الكفاءة ليس صحيحاً، والصحيح قول المالكية؛ لأن مزية الإسلام الجوهرية هي الدعوة إلى المساواة، ومحاربة التمييز العرقي أو العنصري، ودعوات الجاهلية القبلية والنسبية، ولأن انتشار الإسلام بين الناس غير العرب إنما كان أساساً لهذه المزية، وإعلان حجة الوداع واضح وهو أن الناس جميعاً أبناء آدم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى.

٥ - المال أو اليسار:

المراد به القدرة على المهر والنفقة على الزوجة، لا الغنى والثراء، فلا يكون المعسر كفوئاً لموسرة. وحدد بعض الحنفية هذه القدرة على نفقة شهر، وصح بعضهم الاكتفاء بالقدرة عليها بالكسب.

واشترط اليسار في الكفاءة الحنفية والحنابلة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الحديث السابق لفاطمة بنت قيس: "أما معاوية فصعلوك لا مال له"، ولأن الناس يتفاخرون بالمال أكثر من التفاخر بالنسب، ولأن الموسرة تتضرر في

أثر الاكتئاب النفسي

إعسار زوجها لإخلاله بنفقتها ومؤنة أولاده، ولهذا ملكت الفسخ بإعساره بالنفقة، ولأن عدم اليسار نقص في عرف الناس يتفاضلون فيه كتفاضلهم في النسب. وقال الشافعية في الأصح والمالكية: لا يعد اليسار في خصال الكفاءة؛ لأن المال ظل زائل، وحال حائل، ومال مائل، ولا يفخر به أهل المروءات والبصائر.

٦ - المهنة أو الحرفة أو الصناعة:

والمراد بها العمل الذي يمارسه الإنسان لكسب رزقه وعيشه، ومنه الوظيفة في الحكومة.

وذكر الجمهور غير المالكية الحرفة في خصال الكفاءة، بأن تكون حرفة الزوج أو أهله مساوية أو مقاربة لحرفة الزوجة أو أهلها ولم يذكر المالكية الحرفة من خصال الكفاءة؛ لأنها ليست بنقص في الدين، ولا هي وصف لازم، كالمال، فأشبهه كل منهما الضعف والمرض والعافية والصحة.

٧ - السلامة من العيوب المثبتة للخيار في النكاح:

كالجنون والجدام والبرص، اعتبرها المالكية والشافعية من خصال الكفاءة، فمن كان به عيب منها رجلاً أو امرأة ليس كفوئاً للسليم من العيوب؛ لأن النفس تعاف صعبة من به بعضها، ويختل بها مقصود النكاح. ولم يعتبر الحنفية والحنابلة السلامة من العيوب من شروط الكفاءة، ولكنها تثبت الخيار للمرأة دون أوليائها؛ لأن الضرر مختص بها، ولوليها منعها من نكاح المجذوم والأبرص والمجنون. وهذا الرأي هو الأولى؛ لأن خصال الكفاءة حق لكل من المرأة والأولياء.

لكن الأولى مراعاة التقارب بين هذه الأوصاف، وبخاصة السن والثقافة؛ لأن وجودهما أدعى لتحقيق الوفاق والوثام بين الزوجين، وعدمهما يحدث بلبلة واختلافاً مستعصياً، لاختلاف وجهات النظر، وتقديرات الأمور، وتحقيق هدف الزواج.

د . أسامة محمد زغلول متولي مرسي

أثر الاكتئاب النفسي على الكفاءة :

درجات الاكتئاب النفسي التي تؤثر على الكفاءة :

الشخص المصاب بالاكتئاب النفسي ذو الدرجة العالية أو بلا شك غير كفاء للزوج السوي ، فالنفس بطبيعتها تعاف صحية الذي يكون سيئ المزاج (بحالة مرضية غير طبيعية) ، تتكرر عنده فكرة الموت وإنهاء حياته بالانتحار ، يميل لكل فكرة يائسة ، أو من يكون منفصلاً بشكل كبير عن الواقع كمن هو مصاب بالاكتئاب النفسي المصاحب للأعراض الذهانية ، فهو ينافي نهضة الزواج بما فيها من مقدمات لحياة جديدة وتكوين أسرة ، فلأن الكفاءة حق للمرأة فالإكتئاب النفسي يؤثر على هذه الكفاءة ويخل بها خللاً واضحاً إذا تشخص بذلك من قبل مختص.

درجات الاكتئاب النفسي التي لا تؤثر على الكفاءة :

درجات الاكتئاب النفسي التي لا تؤثر في الكفاءة هي : الدرجة الوسطى وما دونها؛ لأنها غير مزمنة وأي شخص يمر بوعكة صحية نفسية (إثر بعض مواقف الحياة المحزنة).

**

الخاتمة

ولعل أهم توصلت إليه الدراسة يتلخص فيما يلي :

١- أن مريض الاكتئاب النفسي يمكن أن تطبق عليه أحكام الجنون في الشريعة الإسلامية.

٢- أن مريض الاكتئاب النفسي الذي تظهر عليه الأعراض بصورتها الكاملة والكافية لتشخيص المرض ولم يخضع للعلاج، فهذا يمكن تصنيفه ضمن الجنون المطبق وهو الجنون الملازم المستمر، ويأخذ أحكامه في العبادات والمعاملات والجنايات.

٣- أن مريض الاكتئاب النفسي الذي خضع للعلاج وتحسنت حالته ولكن بقيت بعض الأعراض الذهانية، فهذا يمكن تصنيفه ضمن الجنون الجزئي، ومثله المريض الذي يعاني بعض الأعراض الذهانية التي لم تصل إلى درجة تشخيصه لهذا الحد.

٤- أن مريض الاكتئاب النفسي الذي خضع للعلاج وتحسنت حالته حتى زالت الأعراض الذهانية ولكنه لم يكن منتظما في تناول الدواء مثلا - كما يحدث كثيرا - فعادت إليه الأعراض، أو حدثت الانتكاسة لأي سبب آخر، فهذا يمكن إلحاقه بالجنون المتقطع فيأخذ أحكامه الفقهية. والله أعلم.

٥- تبين أن مرض الاكتئاب النفسي له أثر في رفع التكليف أو تخفيفه خاصة في الحالات الشديدة.

**

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- تفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت ٣١٠هـ)، طبعة دار التربية والتراث.
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، أبو بكر الجزائري، دار الرسالة.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله ابن باز.
- صحيح البخاري- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- سنن الترمذي- الجامع الكبير، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨م.
- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه:

أثر الاكتئاب النفسي

- شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي - عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- المسند ، أحمد بن محمد بن حنبل(ت ٢٤١هـ)، دار المنهاج .
- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تأليف: محمد بن عبد الباقي الزرقاني - دار نشر دار الكتاب العلمية، بيروت: سنة النشر ١٤١١هـ، الطبعة الأولى .
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني(ت ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي ، بيروت.
- بدائع الصنائع، علاء الدين الكاساني الحنفي(ت ٥٨٧هـ) ، دار الكتب العلمية.
- شرح منتهى الإرادات للبهوتي- دقائق أولي النهي- المؤلف : منصور بن يونس، ط عالم الكتب.
- الفوائد المنتخبات في شرح أخصر المختصرات، المؤلف: عثمان بن عبد الله بن جامع الحنبلي، المحقق: عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، عبد الله بن محمد ابن ناصر البشر الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- المحلى، لابن حزم الأندلسي، المحقق: عبد الغفار سليمان البنداري، الناشر: دار الفكر بيروت.
- بلوغ المرام من أدلة الأحكام، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني الشافعي المعروف بابن حجر العسقلاني(ت ٨٥٢هـ)، دار الكتب العلمية.

د . أسامة محمد زغلول متولي مرسي

- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع المؤلف: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت ٥٨٧هـ) الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- حاشية رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين الشهير بابن عابدين الدمشقي (ت ١٢٥٢هـ)، الناشر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي.
- الموسوعة الفقهية الكويتية صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت عدد الأجزاء: ٤٥ جزءا الطبعة: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ).
- الفقه الإسلامي وأدلته (الشامل للأدلة الشرعية والآراء المذهبية وأهم النظريات الفقهية وتحقيق الأحاديث النبوية وتخريجها) أ. د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلامي وأصوله بجامعة دمشق - كلية الشريعة الناشر: دار الفكر - سورية - دمشق الطبعة: الرابعة.
- الشرح الصغير على أقرب المسالك، أحمد بن محمد بن أحمد بدر ديرة، طبعة دار الفكر.
- المغني والشرح الكبير، تأليف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد قدامة المقدسي شمس الدين أبو الفرج.
- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (ت ١٠٠٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي الملقب بابن منظور (ت ٧١١هـ)، طبعة دار صادر، بيروت.
- الموجز في أصول الفقه للشيخ: محمد عبيد الله الأسعدي، قدم له الشيخ: عبد الفتاح أبو غده (دار النشر: دار السلام - مصر).

أثر الاكتئاب النفسي

- البحر المحيط في أصول الفقه تأليف: محمد بن بهادر بن عبدالله - دار النشر: دار الكتاب العلمية. لبنان. سنة ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م، الطبعة الأولى، تحقيق، د: محمد محمد تامر .
- القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، المؤلف: الدكتور سعدي أبو حبيب. الناشر: دار الفكر. دمشق - سوريا، الطبعة الثانية .
- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، دار الفكر.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تأليف أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي، تحقيق: عدنان درويش محمد المصري. دار النشر مؤسسة رسالة بيروت سنة ١٩٩٨ م.
- كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية.
- لطف الشربيني (٢٠٠١). الاكتئاب النفسي المرض والعلاج. الإسكندرية: منشأة المعارف.
- بدر محمد الأنصاري (١٩٩٧). الاكتئاب النفسي والعدوان العراقي: دراسة لمعدلات الانتشار في المجتمع الكويتي، الكويت مكتبة الإنماء الاجتماعي، الديوان الأميري.
- أحمد عكاشة (٢٠٠٩). الطب النفسي المعاصر. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- آمال على قاسمي (٢٠١٥). الفروق التشخيصية بين مريضات الاكتئاب النفسي الأساسيات والسويات في الأداء على اختبارات أنماط التشويه المعرفي ومكونات الذاكرة العاملة. المجلة المصرية لعلم النفس الإكلينيكي والإرشادي، ٣(١)، ١١٥-١٤٦.

د . أسامة محمد زغلول متولي مرسي

- بشير معمريّة (٢٠١٠). تقنين قائمة آرون بيك الثانية للاكتتاب، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، ٢٥(٢٦)، ٩٢-١٠٥.
- أسماء الحسيني(٢٠٠٢). المدخل إلى الصحة النفسية والعلاج النفسي. الرياض: عالم الكتب.
- إبراهيم عبد اللطيف(١٩٩٧). الاكتتاب النفسي، دراسات نفسية. القاهرة: دار النهضة.
- حامد عبد السلام زهران (٢٠٠١). الصحة النفسية والعلاج النفسي، القاهرة: مكتبة الأنجلو.
- عبد الله عسكر(١٩٨٨). الاكتتاب النفسي بين النظرية والتطبيق، القاهرة: مكتبة الأنجلو.
- عزت إسماعيل(١٩٩٩). الاكتتاب النفسي، الإسكندرية: وكالة المطبوعات.
- مجدي عبد الله (١٩٩٧). علم النفس المرضي. القاهرة: دار المعرفة.
- عبد الحميد الشاذلي(٢٠٠١). الصحة النفسية وسيكولوجية الشخصية، الإسكندرية: المكتبة الجامعية.
- محمد عبد الأمير جابر(٢٠٢٢). رحلة في حضرة الاكتتاب النفسي.أوراق ثقافية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ٣(١٧)، ٣٣٣-٣٤٧.
- فوقيّة عبد الفتاح(٢٠٠٥). علم النفس المعرفي بين النظرية والتطبيق. القاهرة: دار الفكر العربي.
- Beck,A;Rush,A;Shaw,B.& Emery,G.(١٩٧٩). *Cognitive Therapy of Depression*. NEW York:Guilford Press.
- Melges, F. T., & Bowlby, J. (١٩٩٦). Types of hopelessness in psychopathological process. Archives of General Psychiatry, ٢٠(٦), ٦٩٠-٦٩٩. <https://doi.org/10.1001/archpsyc.1996.01740180074007>
- American Psychiatric Association. (٢٠١٣). *Diagnostic and statistical manual of mental disorders* (٩th ed.) Washington, DC: author

* * *